

إشكالية المفهوم البلاغي للتورية في دراسات علوم القرآن دراسة

طبيقية¹

M. Bara ALSABBAGH²

الملخص

تستعرض هذه الدراسة تأصيل المفهوم البلاغي للتورية وآلية تطبيق دلالاته في دراسات علوم القرآن عامة والتفسير على وجه الخصوص، وتهدف الدراسة إلى بيان الإشكالية البحثية المتمثلة في ضبابية المفهوم الاصطلاحي وأثر ذلك من خلال استعراض جملة من الشواهد القرآنية، وتجييب الدراسة عن سؤال مفاده: ما حقيقة مفهوم التورية في دراسات علوم القرآن ومدى ارتباط ذلك المفهوم بالدلالة الاصطلاحية البلاغية التخصصية ومنهج القائمين بالتورية في القرآن الكريم، وذلك وفق منهج وصفي تحليلي يقوم على استقراء جزئي ممنهج وتحليل مدى انطباق التأصيل على التطبيق، وقد خلصت الدراسة إلى أن التورية في كتب علوم القرآن تطلق على مفهوم واسع يشمل المعارض والمجاز ومطلق الاستعارات، ومن نفاها فقد قصر البحث على مفهوم بلاغي اصطلاحى ضيق محدد دون غيره، وهو خلاف العمل الذي تشهد به كتب علوم القرآن.

الكلمات المفتاحية: التورية، البلاغة، اللغة، علوم القرآن، التفسير.

¹ Makale Geliş Tarihi/Received: 18.07.2025 / Makale Kabul Tarihi/Accepted: 22.12.2025

² Doktora Öğrencisi, Marmara Üniversitesi, baraaalsaba1993@gmail.com,
ORCID: <https://orcid.org/0009-0005-9830-8461>

Belâgat Kavramı Olarak Tevriyenin Kur'an Çalışmalarındaki Yeri

ÖZ

Bu çalışma, bir belâgat sanatı olan tevriyenin (çifte anlamlılık) temellerini ve anlamsal uygulama mekanizmalarını genel olarak Kur'an araştırmaları, özel olarak da tefsir ilmi ekseninde incelemektedir. Araştırma, kavramdaki müphemlikten kaynaklanan akademik sorunsalı ve bu durumun etkilerini Kur'an'da geçen örnekler üzerinden ortaya koymayı amaçlamaktadır. Çalışma; 'Kur'an ilimleri çalışmalarında tevriye kavramının mahiyeti nedir?', 'Bu kavramın teknik belâgat tanımıyla ilişkisi nasıldır?' ve 'Kur'an-ı Kerim'de tevriyenin varlığını savunanların metodolojisi nedir?' sorularına yanıt aramaktadır. Bu doğrultuda; sistematik ve kısmi bir tümevarıma dayanan, teorik temellerin uygulama üzerindeki geçerliliğini analiz eden betimsel-analitik bir yöntem izlenmiştir.

Araştırma sonucunda, tevriye kavramının klasik Kur'an ilimleri literatüründe; ma'âriz (imalı sözler), mecâz ve genel istiâre biçimlerini de kapsayan geniş bir anlama sahip olduğu tespit edilmiştir. Buna karşılık, Kur'an'da tevriyenin varlığını reddedenlerin, konuyu sadece klasik belâgat ilmindeki dar ve teknik tanımla sınırlandırdıkları; bu yaklaşımın ise Kur'an çalışmalarındaki geniş kapsamlı uygulamaları tam olarak yansıtmadığı sonucuna varılmıştır.

Anahtar Kelimeler: *Tevriye, Belâgat, Dil, Kur'an Çalışmaları, Tefsir.*

The Rhetorical Concept of Tawriya in Qur'anic Studies: An Applied Analysis

ABSTRACT

This study explores the foundations of the rhetorical concept of tawriya (double entendre) and examines the mechanisms of its semantic application in Qur'anic studies in general and in Qur'anic exegesis in particular. The research aims to address a core scholarly issue: the conceptual ambiguity surrounding tawriya as a technical term and its implications. By analyzing a set of Qur'anic examples, the study seeks to answer the central question: What is the actual meaning of tawriya within Qur'anic studies, and to what extent does it align with the specialized rhetorical definition? Furthermore, it investigates how proponents of tawriya in the Qur'an approach the concept.

The study adopts a descriptive-analytical methodology based on systematic partial induction and an assessment of the alignment between theoretical foundations and applied examples. It concludes that the use of tawriya in the classical literature of Qur'anic sciences often refers to a broad notion encompassing ma'ārid (indirect references), majāz (metaphor), and general forms of metaphorical language. In contrast, those who deny its presence in the Qur'an tend to confine their investigation to a narrow technical definition rooted in classical rhetoric, which does not reflect the broader application found in Qur'anic studies.

Keywords: *Tawriya, Rhetoric Language, Qur'anic Studies, Tafsir.*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعده، فإنَّ عملية ضبط المفاهيم وتحديد دلالات مصطلحاتها تكتسب أهمية بالغة في الملفّات البحثية بشكل عام، وخاصّة في القضايا التي لا تقتصر على علم تخصّصي واحد، فهي ليست ترفاً علمياً أو مجرد واجب أكاديمي يُلزم به الباحث، وإنّما تكمن أهمية ضبط المفاهيم في كونها نواة لفكر منهجي يؤسس عدداً من المسائل العلمية، وبدونها لا ينضبط التّأصيل ولا تحرّر المسائل ولا تتّضح المفاهيم، بل ويصبح التّطبيق في بعض الأحيان مهمة ضباية متباينة التّناجج، ذلك أنّ بعض الباحثين يقرّر أصلاً نظرياً ثم لا تظهر صورته بشكل واضح في ميدان البحث والتّطبيق، فلا هو الذي وضع تأسياً يستطيع تطبيقه ولا هو الذي طبّق وفق تأسيل نظر له بشكل علمي منهجي وفق عملية بحثية لها ضوابطها المعترية في السّياق البحثي، وعليه فإنّ هذه الدراسة تكشف مفهوم التورية البلاغية وحقيقة وجود هذه الدلالة المفاهيمية في كتاب الله عز وجل من خلال كتب التفسير كالزخشي والسيوطي والآلوسي وابن عاشور وبعض الدراسات الأكاديمية مينة سبب الاختلاف في إثبات هذا المصطلح من عدمه وذلك عن طريق جمع عدد من الأقوال ودراستها دراسة تحليلية تكشف الراجح في المسألة.

أهمية الموضوع

تعتبر التورية في علم البديع اللغوي إحدى أهم الموضوعات البلاغية، وهي عند أرباب هذا الفن من أروع الفنون وأعلاها رتبة، فهي عندهم بمنزلة العين من الإنسان، وقد

ظهر الاهتمام بهذا المصطلح اللغوي في أوائل كتب علوم القرآن، ولأجل ذلك نقل جلال الدين السيوطي عن الرّمخشري قوله: "ولا ترى باباً في البيان -أي في البلاغة- أدقّ ولا ألطف من التّورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله وكلام نبيه ﷺ وصحابته رضي الله عنهم"³ وهي بذلك تتجاوز مسألة الزينة التحسينية التي يتناولها علماء البلاغة لتصدر مشهداً تفسيرياً مهماً تتعلق به جملة من مسائل علوم القرآن.

الإشكالية

تكمن إشكالية هذه الدّراسة في عدم وجود تأصيل منهجي دقيق لمفهوم التورية في كتب علوم القرآن والتفسير، وتنطلق من هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

ما أثر دلالة مفهوم التورية البلاغي في كتب علوم القرآن؟

ما أهم المسائل المتعلقة بالتورية في علوم القرآن؟

ما الراجح في مسألة وجود التورية بمفهومها البلاغي في القرآن الكريم؟

منهج الدراسة

فرضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الوصفي والمنهج التّحليلي، وذلك على

النحو الآتي:

³ السيوطي، الإِتقان في علوم القرآن (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م)، 3/285، وسيأتي الحديث عن صحة نسبة هذا القول إلى الرّمخشري.

أولاً: المنهج الوصفي: حيث ستقوم الدّراسة باستقراء مفهوم التورية بمفهومه البلاغي وطبيعة تناوله في الدّراسات القرآنية، وكشف تباين مناهج المفسّرين واستخلاص أبرز النتائج التي تترجم عملهم ومقاصدهم.

ثانياً: المنهج التحليلي: وذلك من خلال دراسة شواهد التورية في القرآن، وما يتعلق بذلك من تطبيقات المفسّرين لمختلف مسائل علم البديع القرآني.

1. المبحث الأول: مفهوم التورية اللغوي والبلاغي

1.1.1. المطلب الأول: التورية لغة:

مصدر ورّى الشيء، إذا أخفاه، يقال: واريت الشيء تورية، وورّيته أورّيه، إذا سترته وأظهرت غيره، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه كان إذا أراد سفراً -أي غزوة- ورّى بغيرها⁴، بمعنى أنه كتم عنها وأوهم أنه يبغى غيرها، وتدور معاني كلمة التورية حول السّتر والخفاء⁵، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26] وقال سبحانه: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31] ومن هذا يتبين أنّ مادّة: الواو والراء والألف وما اشتق منها تدل على ستر شيء وإظهار غيره،

⁴ البخاري، صحيح البخاري (دمشق: دار ابن كثير، 1993)، 1078/3، رقم: 2787.

⁵ ابن منظور، لسان العرب (بيروت، دار صادر، 1414هـ)، 289/15، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م)، باب الواو فصل الواو، 1342، وأبو منصور الهروي، تهذيب اللغة، (بيروت: دار إحياء العربي، 2001م)، 219/15.

فالسَّاتَرُ ظاهر بارز، والمستور خفيٌّ كامن، ومن هنا كانت التَّورية لغةً إخفاءً شيءٍ بإظهار غيره.

1. 2. المطلب الثاني: التَّورية اصطلاحاً:

يقصد بالتَّورية في اصطلاح البلاغيين: (قصد المتكلم إخفاء مراده من خلال لفظ محتمل لمعنيين أحدهما قريب غير مقصود والآخر بعيد مقصود فيتوهم السَّامع أنَّ المتكلم يريد القريب والحقيقة أنَّه يريد المعنى البعيد)⁶. ويعتبر أسامة بن منقذ من أوائل من أرسى حدَّ التَّورية بقوله: "هي أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما فتوري بالآخر"⁷. وقد تسمَّى التَّورية بـ "الإيهام"⁸؛ لتوهم السَّامع أول وهلة أنَّ المتكلم يريد المعنى القريب، وهي في الحقيقة ليست إيهاماً عابراً فحسب، وإنما هو إيهام متعمد ومقصود، ولذلك تسمَّى بـ "المغالطة" و"المخالطة" و"التَّخييل"، وتسمية التَّورية بذلك أولى من غيرها من التَّسميات⁹ لقرابها من مطابقة المسمَّى؛ لأنَّها مصدر ورَّيت الخبر إذا سترته وأظهرت خلافه كأنَّ المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر. وأما "الإيهام" و"التَّوجيه"¹⁰ فكلاهما اسم لشيء آخر غير التَّورية¹¹.

⁶ ينظر: الصعدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح، (مصر: مكتبة الآداب، 2005)، 595/3. والسيوطي، عقود الجمان، (القاهرة، دار الإمام مسلم، 2012م)، 98.

⁷ ابن منقذ، البديع في نقد الشعر (مصر: مصطفى الحلبي، 1384هـ)، 60.

⁸ السَّكاكي، مفتاح العلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، 427/1.

⁹ ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (بيروت: دار الهلال، 2004م)، 39/2.

¹⁰ نص ابن أبي الإصبع على أن التَّورية تسمى بالتَّوجيه، ينظر: ابن أبي الإصبع، التحرير والتَّحبير، 268.

¹¹ ينظر: د. محمد جابر فياض، التَّورية وخلو القرآن منها (دار المنارة، 1985)، 20.

1. 3. المطلب الثالث: التّورية بمفهومها الاصطلاحي في القرآن الكريم:

تكمن إشكالية بحث التّورية في القرآن في أمرين:

الأول: تعدّد المصطلحات التي تشترك في الدلالة على نفس المفهوم، وهذا يؤكّد ضرورة حسم هذا الكمّ الكبير من المصطلحات وإرجاعها جميعاً إلى حقلها المعرفي حتى لا تختلط المسائل كما هو الحال في البديع اللغوي.

الثاني: موقعها في السياق القرآني، ويندرج تحت ذلك سؤالان: الأول: هل هي موجودة في الذكر الحكيم بمفهومها البلاغي السّابق؟ وإذا كانت موجودة فما نسبة وجودها وما الشّواهد الدّالة عليها؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليّة فإنه يجب بيان أمور أهمّها: استعراض وفهم أقوال أهل العلم في هذه المسألة، ومناقشة أهمّ الشّواهد التي يدور حولها الخلاف غالباً، ثم التّرجيح المبني على التّحليل والاستدلال، وقد اقتضت المنهجية البحثية للكشف عن ذلك عدداً من الخطوات:

أولاً: استعراض الأقوال في مسألة وجود التّورية بمفهومها البلاغي في القرآن الكريم:

تعددت جهات أهل العلم في بيان جملة من ألوان البديع البلاغي ومن ذلك قولهم في مسألة التورية، وقد وجدت أن أقوالهم لا تخرج عن أقوال ثلاثة: أحدها وهو الأشهر: إثبات وجود تورية بلاغية في القرآن الكريم، ويعدّ السّكاكي أشهر من نصّ صراحة على

ذلك¹²، كما وقد استفتح السيوطي باب "بدائع القرآن" في كتابه "الإتقان" بمبحث "التَّورِيَّة" وقد عنوانه بـ "الإيهام"، ويمكن الاستدلال على وجود التَّورِيَّة في القرآن بأمر منها: - أنَّ القرآن الكريم جاء على أساليب العرب وطرائقها في التَّعبير، والتَّورِيَّة من أعظم سبلها في تزيين الكلام وتحسينه.

- جاء النَّص في القرآن على أنَّ فيه المحكم والمتشابه، واللفظ المتشابه له عدة معان، ولا يمكن الجزم بالمعنى القريب المتبادر إلى الذهن، ولذلك اعتبر الزَّمخشي التَّورِيَّة باباً مهتماً لفهم المتشابه في القرآن الكريم¹³.

- أنَّ القرآن الكريم جاء حمَّال أوجه وله ظهر وباطن، ولا يمكن فهم هذه الأوجه إلا من خلال التَّورِيَّة التي تحتوي على معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد.

- ذكر عدد من كبار أهل العلم وقوع التَّورِيَّة في القرآن، ومن جملتهم شيخ التفسير البلاغي الزَّمخشي ورجل البلاغة وواضع أسسها السكاكي وأحد أعمدة علوم القرآن الإمام السيوطي رحمهم الله تعالى وغيرهم وسيأتي بيان ذلك في الدراسة.

ثانيها: لا توجد تورية في القرآن الكريم، وقد ذكر ذلك محمد جابر فياض ونصَّ على أنه لم يُسبق إلى القول بذلك¹⁴، ويستدلُّ على قوله بأمر أهمها:

¹² السكاكي، مفتاح العلوم، 427/1.

¹³ ينظر: القزويني، الإيضاح (بيروت: دار الجيل)، 499/، وستأتي مناقشة نسبة القول للزمخشي.

¹⁴ يراجع: د. محمد جابر فياض، التورية وخلو القرآن منها، ص 13.

- القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وهذا المقصد يتنافى مع طبيعة التورية القائمة على وجود معنيين في لفظ واحد مما قد يسبب لبساً.

- كون القرآن عربياً جارياً على أساليب العرب وطرائقها في التعبير وسبلها في تزيين الكلام وتحسينه لا يوجب أن تكون فيه كل تلك الألوان التي استخدموها، فالتورية تمدح في كلام البشر لا في كلام ربّ البشر، وليس كل ما كان ممدوحاً في حق المخلوق كان ممدوحاً في حق الخالق، ولعلّ الشّعْر أوضح مثال على ذلك؛ فهو ذروة النتاج اللغوي غير أنّ القرآن الكريم لا شعر فيه، بل هو منزّه عنه.

- لا يوجد في كتب التفسير إشارة صريحة إلى وجود التورية في القرآن الكريم إلا بعد أن نصّ السكاكي على ذلك، وأمّا ما ينسب إلى الإمام الزمخشري فالتقل عنه غير منضبط، وأمّا حديث الزمخشري فهو عن التمثيل التخيلي وليس عن التورية وفرق بينهما، وأمّا نقل ابن معصوم (1119) هـ¹⁵ كلام الزمخشري عن التورية فليس بمسلّم.

- كون القرآن حمّال أوجه أو له ظهر وباطن، أو فيه متشابهات فهذا راجع إلى ثراء مفرداته وغنى أساليبه من جهة واختلاف قدرات الناس وتباين مداركهم من جهة أخرى، ولا علاقة للتورية بمفهومها الاصطلاحيّ في كل ذلك.

ثالثها: التوقف عن عدم الجزم بوجود التورية أو نفيها في القرآن¹⁶ وممن ذهب إلى ذلك د. محمد إقبال عروي، وقد أرجع ذلك إلى حين وجود منهجية تنقذ بدائع القرآن من

¹⁵ صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، وقد نقل ذلك في

كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع، وقد سبق نقل ابن معصوم وكلام الزمخشري.

¹⁶ وممن ذهب إلى ذلك د. محمد إقبال عروي، البديع في القرآن (الكويت: إدارة الثقافة الإسلامية، 2009)، 33/2.

عشوائية التصنيف، والتداخل الاصطلاحي؛ وذلك نتيجة للإشكالات التي يقوم عليها هذا اللون البلاغي بالتحديد.

ثانياً: الترجيح

يظهر ممّا سبق أنّ الخلاف بين الأقوال جوهرية لا شكلية ولا صورية، فالأول يثبت التّورية ويذكر دورها البلاغي في سياق الآيات وقد كتبت في ذلك رسائل وأبحاث¹⁷، والثاني ينفىها تماماً وينزه القرآن عن هذا اللون اللغوي، والفرق بينهما لا يدرك بالصّورة الشّمولية فحسب، وإمّا يحتاج إلى نظر دقيق ومعرفة تفصيلية لدقائق علوم وألوان البلاغة المتنوعة، ولعلنا من خلال تأمل الآيات التي استشهد بها القائلون بالتّورية نتوصل إلى أنّها موجودة بمعناها اللغوي وهو من قبيل التوسع في الدلالة الاصطلاحية وذلك على سبيل المعارض أو المجاز أو التواطؤ اللفظي¹⁸ ونحو ذلك¹⁹.

2. المبحث الثاني: مناقشة شواهد التّورية في القرآن الكريم

ذكر القائلون بالتّورية البلاغية عدداً من الشّواهد القرآنية التي تجب دراستها في سياق التّأصيل والتّطبيق، وينبغي أن يُعلم أنّ التّورية مصطلح قديم وعليه فإنّ بعض أهل العلم قد يطلقه ولا يريد معناه الاصطلاحية وبعض المعاصرين قد يطلقه ويريد به مطلق

¹⁷ ينظر: عقيلة كرحة - ابتسام بن الزّعدة، رسالة ماجستير "بلاغة التّورية في القرآن". وينظر: د. أحمد عبد المجيد خليفة، بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة الزقازيق بعنوان: "بلاغة التّورية وأثرها في تأويل آيات الصفات".

¹⁸ ينظر السيوطي، الإِتقان، 3/286.

¹⁹ وهذا كلّ على فرض صحة اعتبار التّورية من مباحث علم البديع فإنّ أحمد جيزيك ذكر في كتابه: (Bedî İlminde)

Manayı Güzelleştiren (Söz Sanatları ve Bu Sanatlara Yönelik Bazı Eleştirel Yaklaşımlar، أنّها ليست من هذا الباب.

المجاز أو الباطن ونحوه، ومن هذا الباب نجد أنَّ بعضهم يجعل آيات الصِّفات من قبيل التَّورية وهو بعيد من حيث الصَّنعة البحثية لأنَّ الآيات لا تنطبق عليها كثير من شروط وضوابط التَّورية كما هي معروفة في الاصطلاح، وعليه فإنَّ هذا الباب بحاجة لتأصيل علمي وضبط منهجي دقيق.

وهذه جملة من الأمثلة والشواهد القرآنية التي ذكر بعض الباحثين أنَّها من باب التَّورية القرآنية سنستعرضها إجمالاً ثمَّ ستبيِّن الدِّراسة حقيقة المسألة والوجه الرَّاجح فيها:

2. 1. مناقشة الشاهد الأول: قال تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّهِنَّ إِنَّا لَنَرِي ضَلَالِكَ

الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95]

استدلَّ القائلون بالتَّورية في القرآن بهذه الآية وذكروا أنَّ الضَّلالة هنا له معنيان: أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه واضحة: وهو ما كان مقابل الهدى، أي أنَّ أولاد يعقوب عليه السلام يريدون تفنيد قوله وتكذيبه وبيان ضلاله وهو أنَّه يجد ريح يوسف، ولكنَّ هذا المعنى القريب غير مراد. الثاني: معنى دلالي بعيد لا يدرك إلا بإطالة التَّفكير، ويكون المعنى هو الحب فمرادهم من ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8] فهذا الشَّاهد وارد على

لسان أولاد يعقوب عليه السلام²⁰. ومَن ذكر هذه الآية مستشهداً بها في باب التورية من المتقدمين: ابن أبي الاصبع والسيوطي²¹ ومن المتأخرين أحمد عبد المجيد²².

ولعلَّ الشَّاهد الأقرب في مواراة معنى الحب في القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 129] فإنه يمكن أن يقال على طريقة من يقول بالتورية أن لفظ العدل له معنيان: الأول: نقيض الظلم، والثاني: الحب والميل القلبي. وهذا الشَّاهد لم تذكره ابتسام الزغدة وعقيلة الكرحلة في رسالتهما المعنونة ب: بلاغة التورية في القرآن الكريم سورة النساء أنموذجاً²³ فإنهما لم يذكرنا هذه الآية مع أنَّها من أوضح الاستشهادات في سورة النساء، وعموماً فإنه لا تورية في هذه الآية كما سيظهر من خلال آية يوسف.

وقد بيَّن شيخ المفسرين الطبري رحمه الله تعالى المراد من اللفظ فقال: "تالله، أيها الرجل، إنك من حبِّ يوسف وذكره لفي خطئك وزللك القديم لا تنساه، ولا تتسلى عنه، وبنحو الذي قلنا قال أهل التَّأويل"²⁴. ولما وقف الطَّاهر ابن عاشور عند هذه الآية بيَّن موقع لفظ الضَّلَال في المعنى ووضَّح المراد منه فقال: "والضَّلَال: البعد عن الطريق الموصلة.

²⁰ السيوطي، الإيتقان، 284/3.

²¹ ينظر: السيوطي، الإيتقان، 286/3.

²² د. أحمد عبد المجيد، التورية وأثرها في تأويل الآيات القرآنية (القاهرة: مجلة كلية الآداب، 2011م) 24.

²³ ابتسام بن الزغدة وعقيلة كرحة، بلاغة التورية في القرآن الكريم، كلية الآداب قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحيى -جيجل-، 2016م.

²⁴ الطبري، جامع البيان (مكة: دار التربية، دون سنة طباعة)، 256/16.

والمعنى: أنك مستمر على التلبس بتطلب شيء من غير طريقه. أرادوا طمعه في لقاء يوسف- عليه السلام-²⁵ وهو عين ما نصَّ عليه الرَّمَّحُشْرِي في كشافه فقال: ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ لفي ذهابك عن الصواب قدماً في إفراط محبتك ليوسف، ولهجك بذكره، ورجائك للقائه، وكان عندهم أنه قد مات²⁶، وقد أكَّد الألويسي رحمه الله تعالى ذلك: "قالوا أي أولئك المخاطبون تالله إنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ أي لفي ذهابك عن الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف والإكثار من ذكره والتوقع للقائه وجعله فيه لتمكُّنه ودوامه عليه"²⁷.

وبهذا التَّفصِيل والبيان يظهر أنَّ الضَّلَال في الآية على معناه الأصلي وهو مجانبة الصَّوَاب، فالقائلون يريدون: لقد جانب الصَّوَاب يا يعقوب بسبب شدة حبك القديم ليوسف، وهذا المعنى غير قولهم: إنَّكَ لَفِي حُبِّكَ الْقَدِيمِ. وفرق واضح بينهما، وبذلك فلا علاقة للتورية في الآية ولا وجود لمعنيين أحدهما ظاهر والآخر خفي كما لا وجود لإيهام ونحوه.

2. 2. مناقشة الشاهد الثاني: قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

[طه: 5] استدلاً بعض القائلين بوجود التورية في القرآن الكريم بهذه الآية وذكروا أنَّ كلمة {استوى} يتجاوزها معنيان: أحدهما قريب وهو: الاستقرار في المكان مع مراعاة ضرورة نفي التَّشْبِه والكيفيَّة عن الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه لا يشبهه ولا يعدله شيء ﴿وَمَّ

²⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 53/13.

²⁶ الرَّمَّحُشْرِي، الكشاف (القاهرة: دار الريان، 1987م)، 504/2.

²⁷ الألويسي، روح المعاني (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994)، 51/7.

يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿﴾ [الإخلاص: 4] فهو استواء حقيقي وعلى عرش له وجود حقيقي أيضاً، دون تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل. الثَّانِي بعيد وهو: الاستيلاء والملك والسلطة والعظمة، مع مراعاة كون هذه المعاني منفي عنها أيضاً التَّشْبِيهِ والتَّمْثِيل والتَّكْيِيف.

ومن ذكر هذه الآية مستشهداً بها في باب التَّوْرِيَةِ من المتقدمين: السَّكَاكِي²⁸، والسيوطي²⁹ وقد نقل السيوطي أن الرَّمَّحْشَرِي يقول بذلك وهو نقل غير دقيق، بل إن الرَّمَّحْشَرِي ينص على خلاف ذلك كما سيظهر، ومن المتأخرين القائلين التَّوْرِيَةِ في هذه الآية أحمد عبد المجيد³⁰.

وهذه المسألة وغيرها من مسائل الصِّفَات مما كثر فيها الكلام وتباينت فيها الأقوال، ومن وقف على قول شيخ المفسرين الطَّبري رحمه الله تعالى أدرك حقيقة الأمر وطبيعة المسألة فإنه رحمه الله تعالى بعد أن استعرض معاني الاستواء لغة وما قد يعرض لها من سقيم الفهم قال: "علا عليها علوُّ مُلْكٍ وسُلْطَانٍ، لا علوُّ انتقالٍ وِزْوَالٍ"³¹ وهو بذلك ينفي القول بوجود الظَّاهر غير المراد أو الخفي المراد أو الإيهام المتقصد ونحو ذلك مما لا تحتمله الآية ولا تشير إليه.

وبهذا التفصيل والبيان والنقل عن أهل التَّأْوِيل واللغة يظهر أنَّ الاستواء في الآية على معناه الأصلي وهو العلو والارتفاع بمعنى أنه سبحانه عال عن خلقه مكانة ومرتفع

²⁸ السكاكي، مفتاح العلوم، 427/1.

²⁹ السيوطي، الإتقان، 285/3.

³⁰ ينظر: د. أحمد عبد المجيد، التوروية وأثرها في تأويل الآيات القرآنية، 24.

³¹ الطبري، جامع البيان، 430/1.

عنهم منزلة، وهذا ما لا ينكره أحد من المسلمين، وفي ذكر الاستواء على العرش كناية عن هذا المعنى كما تقول العرب في كلامها، وأمّا أن يجعل في الآية معان ظاهرة وأخرى باطنة على مبدأ التورية الاصطلاحية فهذا مما لم أجده عند أحد من أهل التفسير ممن لهم قدم راسخة في هذا الميدان³².

وأختم هذا التّأصيل بالنقل عن الشيخ المراغي الذي ينصُّ على الوجه البلاغي الدقيق في الآية مبيناً مخرجه وكيف أن التورية بعيدة عنه فيقول: "والتّحقيق أنّ ذلك استعارة تمثيلية، بأن شُبِّهت الهيئة الحاصلة من تصرف المولى في الممكنات بالإيجاد والإعدام، بالهيئة الحاصلة من استقرار الملك على عرشه بجامع أن كلا الأمرين يبني على الملك التام واستعير التركيب الدال على المشبّه به للمشبّه على طريق الاستعارة التمثيلية"³³.

2. 3. مناقشة الشاهد الثالث: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا

لْمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]

استدلَّ بعض القائلين بالتورية في القرآن بهذه الآية وذكروا أنّ كلمة {أيد} يتجاوزها معنيان: الأول: الجارحة المعروفة. والثاني: القوّة والقدرة. وممّن ذكر هذه الآية مستشهداً بها في باب التورية السيوطي³⁴، وكذلك بعض شراح المفتاح وتلخيصه³⁵.

³² تجدر الإشارة إلى أنّ الحديث هنا عن حد اصطلاحى وهو التورية، وأما ما يتعلق بالآية من مسائل مبنية عليها من تفويض أو تأويل ونحو ذلك فهذا بحث آخر له دلالات وأدوات مختلفة تبحث في موضعها من كتب الاعتقاد والتفسير.

³³ ينظر: المراغي، علوم البلاغة (بيروت: دار القلم، دون سنة طباعة)، 305.

³⁴ السيوطي، الإرتقان، 286/3.

³⁵ ينظر: عبد المتعال الصعدي، بغية الإيضاح، 596/4.

وقد تنبّه السُّبكي - وهو أحد شراح التلخيص - لعدم وجود التورية في الآية فقال: "ولا تورية لعدم قرب أحد المعنيين من جهة وضع اللفظ"³⁶ ومن تأمل كلام الزمخشري في هذه الآيات وجد أنه لا يذهب إلى أكثر من كونها كنايات، وهو لا ينفي توهم المعنى القريب فحسب، بل يسخر ممن يقول بالتورية فينعتة بضيق العطن والمسافرة عن البيان أعواماً³⁷.

2. 4. مناقشة الشاهد الرابع: قال تعالى: ﴿فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَعْفُلُونَ﴾ [يونس: 92]

فقد ذكر من استشهد بالآية على التورية أنّ [البدن] في الآية يطلق ويراد به معنيان: أحدهما: قريب، وهو الجسد. قال ابن عاشور مبيناً موقع اللفظة في بديع القرآن: "والبدن: الجسم بدون روح وهذا احتراس من أن يظن المراد الإنجاء من الغرق. والمعنى: ننجيك وأنت جسم. كما يقال: دخلت عليه فإذا هو جثة، لأنه لو لم يكن المقصود الاختصار على تلك الحالة لما كان داع للبلغ أن يزيد ذلك القيد، فإن كل زيادة في كلام البليغ يقصد منها معنى زائد، وإلا لكانت حشوا في الكلام والكلام البليغ موزون، ولغة العرب مبنية على أساس الإيجاز"³⁸.

³⁶ السبكي، عروس الأفراح (بيروت: المكتبة العصرية، 2003م)، 244/2.

³⁷ ينظر: الزمخشري، الكشاف، 52/3.

³⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 278/11.

والثاني: بعيد وهو الدرّع، فقد يسمى الدرّع بدنة لكونها على البدن كما يسمى موضع اليد من القميص يدا.

والذي يظهر أنه يمكن الجمع بين الأقوال جميعاً وهذا ما ذهب إليه -دون إرادة الإيهام- ابن كثير بعد سرده للأقوال السابقة: "وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها، كما تقدّم، والله أعلم" وهذا يثبت الدلالة الواسعة للتورية في مباحث علوم القرآن وعدم اختصاصها كما هو الحال في البديع اللغوي.

2. 5. مناقشة الشاهد الخامس: قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِإِيدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]

فقد ذكر من استشهد بالآية على التورية أنّ اليد تحمل معنيين:

الأوّل قريب وهو: أنّ الله سبحانه وتعالى خلق آدم بيده وأنه سبحانه له يدان ولكنهما مبرأتان عن التشبيه والتّمثيل والتّكليف؛ لأنّ التشبيه يتعارض مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. الثّاني: وهو المعنى البعيد للكلمة والمراد به "الذات" ويكون معنى الآية أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام بلا واسطة. وهذه المسألة كغيرها من مسائل الاعتقاد التي كثر فيها الكلام وأريق عليها حبر كثير، وخلاصة مذاهب الناس فيها على أقوال ثلاثة:

الأول: مذهب التّفويض: وهو ردُّ العلم بالنّصوص المتشابهة إلى الله سبحانه وتعالى، وهم في هذه الآية يكلمون إلى الله علم حقيقة اليد ولا يقولون بالمعنى القريب ولا بالمعنى البعيد. الثاني: مذهب التّأويل: وهو صرف اللفظ عن معناه القريب إلى معنى آخر يحتمّله

النص لقرينة، وهم في هذه الآية يقولون بالمعنى البعيد وهو أنّ المراد من اليد هو نفس ذات الله سبحانه وتعالى.

ويمكن الجمع بين هذين القولين بأن يقال إنّ كلا منهما مناسب في سياقه الفكري والزمني؛ فسلف الأمة ممن نُقل عنهم التّفويض لما كانوا على الفطرة الإيمانية ولم تكثر فيهم الأقوال المبنية على النّظرة الفلسفية كان في تفويض العلم في هذه المسائل غنية عن الخوض فيها. بخلاف ما حصل في العصور المتلاحقة فإنّه لما تعرّض أهل الإسلام لفلسفات وأفكار غير المسلمين وكثرت في علومهم التّشقيقات اللغوية والأنواع المجازية كان القول بالتأويل أحكم كما نقل ذلك عدد من أهل العلم.، وقد تناول أحمد خليفة آيات الصّفات وبحث قضية التّأويل فيها ثم قال: "وهذه المعاني كلها مقبولة، ومحتملة، وجيدة، ولا مشكل فيها، ولا يفسّق الإنسان ولا يكفر، ولا يتّهم بالابتداع بتفسيره للمعنى الأول ولا للمعنى الثّاني؛ لأنّ هذه اللغة التي نزل بها القرآن، وجرى على أساليبها، وتحدّى فيها فصحاءها وبلغائها، فالكلمة تحتل أكثر من معنى ولا يمكن الجزم بأنّ الصّواب في أحدها وأنّ خلافه قول فسقي أو بدعي أو تكفيري"³⁹.

الثالث: مذهب التّشبيه: وهو القول بالمعنى القريب على حقيقته ويلزم من هذا القول التّبعض والتجسيم.

³⁹ ينظر: أحمد عبد المجيد خليفة، بلاغة التوراة وأثرها في تأويل الآيات القرآنية، 34.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتمَّ وأنعم، والصَّلَاة والسَّلَام على النبي الأكرم سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم، وبعد فإنِّي أحمد الوليَّ الكريم سبحانه أن وفقَّ وأعان، فله سبحانه عليَّ الفضل والمنَّة وله الشُّكر أولاً وآخراً، وقد أبانت الدراسة بقسميها التَّأصيلي والتَّطبيقي من خلال مبحثيها عن عدد من التَّنائج ومن ذلك:

- تطلق التورية في كتب التفسير وعلوم القرآن على مفهوم واسع يشمل المعارض والمجاز ومطلق الاستعارات، ومن نفاها فقد قصر البحث على مفهوم بلاغي اصطلاحي محدد دون غيره، وهو خلاف العمل الذي يشهد به عمل المفسرين.
- ليس كل ما يمدح في الصَّنيع اللغوي الاصطلاحي يمدح في البلاغة القرآنية، فقد جاء القرآن بخطاب عربي يرتفع عن غيره في الإعجاز والمنهج والغايات، ولم يتوسَّع في البلاغة وألوانها إلا على يد بعض المتأخِّرين بعد أن تمَّ البناء وصار الأمر أقرب إلى الترف العلمي من التَّأصيل، وعليه فإنَّ البلاغة القرآنية تمتاز عن البلاغة اللغوية في الأدوات والأسلوب والمنهج والغاية.
- مبحث التورية في القرآن الكريم تتجاوزه عدد من المسائل التفسيرية التي لا يمكن البت فيها إلا من خلال ضبط مفهوم التورية وبيان دلالاته الدقيقة.
- على الباحثين في علوم اللغة ضبط المصطلحات وبيان أثر دلالاتها في العلوم المتفرعة عنها.

المصادر والمراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1393هـ). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية، ط1، 1984.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ. ابن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد (584هـ). البديع في نقد الشعر. مصر: مكتبة مصطفى الحلبي، ط1، 1384هـ.

أحمد عبد المجيد خليفة، بلاغة التورية وأثرها في تأويل الآيات القرآنية. القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير. دمشق، ط5، 1993م.

الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (837هـ). خزانة الأدب وغاية الإرب. بيروت: دار الهلال، 2004م.

الزمنشري، محمود بن عمر بن أحمد الزمنشري (ت 538 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة، دار الريان، ط3، 1987م.

السُّبكي، بهاء الدين أحمد بن حامد (773هـ). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 2003م.

السُّكّاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت626هـ). مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1987م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، عقود الجمان، القاهرة: دار الإمام مسلم، ط1، 2012م.

الصعدي، عبد المتعال. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مصر: مكتبة الآداب، ط17، 2005م.

الطُّبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكة: دار التربية، بدون طبعة ولا تاريخ نشر.

عروي، محمد إقبال. بديع القرآن دراسة تاريخية نقدية. الكويت: إدارة الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف، ط1، 2009م.

علّان، إبراهيم محمود (2006م). *البدیع فی القرآن أنواعه*. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلان، ط1، 2002م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (817هـ). *القاموس المحيط*. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م.

القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، (ت 739هـ)، *الإيضاح في علوم البلاغة*. بيروت: دار الجيل، ط3.

كوسا، صفوت. "العلاقة بين علم البلاغة وتفسير القرآن الكريم". تركيا: مجلة جامعة محمد الفاتح للعلوم الإنسانية 7، 2016م.

محمد جابر فياض، *التورية وخلق القرآن منها*. دار المنارة، ط1، 1985م.

المراغي، أحمد مصطفى (1371هـ). *علوم البلاغة*. بيروت: دار القلم، ط1.

نخبة من العلماء. *المعجم الوسيط*. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط2، 1972م.

وأبو منصور الهروي، *تهذيب اللغة*، بيروت: دار إحياء العربي، 2001م.

Grezek, Ahmet, "Bedî' İlminde Manayı Güzelleştiren Söz Sanatları ve Bu Sanatlara Yönelik Bazı Eleştirel Yaklaşımlar", İlahiyat, 2023.